

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

والإنسان سمِّي إنساناً لنسبائه والبهيمة سميت بهيمة لأنها أُبهمَت عن العقْل والتميز من قولهم : أمر مُبْهَم إذا كان لا يُعرف بابه (ويقال للشجاع بهمة لأن مُقاتله لا يدري من أي وجه يوقع الحيلة عليه) .

فإن قال قائل : لأي علّة سمِّي الرجلُ رجلاً والمرأةُ امرأةً والمَوْصلُ الموصل ودَعْدَد دَعْدَدًا قلنا : لعلّ علمتّها العربُ وجَهَلُناها أو بعضَها فلم تَزُلْ عن العربِ حكمةُ العلم بما لحقنا من غموض العلة وصعوبة الاستخراج علينا .

وقال قطربُ : إنما أَوْقَعَت العربُ اللَّفْظَتَيْنِ على المعنى الواحد ليدلّوا على اتّساعهم في كلامهم كما زاحفوا في أجزاء الشعر ليدلّوا على أن الكلامَ واسعٌ عندهم وأن مذاهبَهُ لا تضيقُ عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب (وقولُ ابن الأعرابي هو الذي نذهب إليه للحجة التي دللنا عليها والبرهان الذي أقمناه فيه) .

وقال آخرون : إذا وقع الحرفُ على معنيين متضادّين الأصل لمعنى واحد ثمّ تدخل (الاثنان) على جهة الاتساع فمن ذلك الصَّريمُ يقال للصَّيل صريم وللنَّهار صريم لأنَّ الليل يَنْدَمَرُ من النهار والنهارَ ينصرم من الليل فأصلُ المعنيين من باب واحد وهو القَطْع وكذلك الصارخُ : المُغِيث والصَّارخُ المستغيث سمّيا بذلك لأنَّ المُغِيثَ يصرخ بالإغاثة والمستغيث يصرخُ بالاستغاثة فأصلهما من باب واحد .

وكذلك السُّدفة : الظلمة والسدفة الصَّوء سمّيا بذلك لأنَّ أصلَ السدفة الستر فكأنَّ النهار إذا أقبل ستر ضوءه ظلمةَ الليل وكأنَّ الليلَ إذا أقبل سترت ظلمتُهُ ضوءَ النهار .

وقال آخرون : إذا وقع الحرف على معنيين متضادّين فمحال أن يكون العربيُّ أَوْقَعَهُ عليهما بمساواة (منه) بينهما ولكنَّ أحدَ المعنيين لحيٍّ من العرب والمعنى الآخر لحيٍّ غيره ثم سمع بعضهم لغةً بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء وهؤلاء عن هؤلاء .

قالوا : فالجَوْنُ الأبيض في لغة حيٍّ من العرب والجَوْنُ الأسود في لغة حيٍّ آخر ثم أخذ أحدُ الفريقين من الآخر كما قالت قريش : وحَسْبُ يَحْسَبُ .

(و) أخبرنا أبو العباس عن سلمة عن الفراء قال : الكسائي : أخذوا